الفيلسوف لوك

وأثره في تطور فن التربية

حسن كامل
مدرسة العبة الثانوية الاميرية

لوك قبل كل شيء عالم نفساني واستاذ ضليع من فن تحليل اصل الآراء وعناصر العقل . وهو على رأس تلك المدرسة التي تضم تحت علمها كوندياك في فرنسا . وهربارت في المانيا وهيوم ومعظم الفلاسفة المحدثين في انكلترا . ولكن للرحلة بين علم النفس وعلم التربية سهلة الاجتياز ولذلك لم يبذل لوك مجهوداً ضخماً ليبرّز في التربية بعد ان امتوت له مكانته كفيلسوف كبير

﴿ بعض الآراء في التربية (١٦٩٣) ﴾ — هذا هو عنوان متواضع لكتاب نشره لوك في نهاية حياته واودعه ثمرة تجربته الطويلة . فقد كان طالباً نابغاً في كلية وستمنستر وشعر منذ نعومة اظفاره كما شعر ديكارت في كلية فليش — بالتحرّز من التعليم النموذجي الشكلي البحت . وكان مثلاً يحتذى للطلبة في جامعة اكسفورد . وفي عام ١٦٥٦ فاز بشهادة البكالوريا في الفنون وعين محاضراً في اللغة اليونانية فمدرساً للبلاغة والفلسفة الخلقية

ويرجع الفضل في تكوين اغلب آرائه في التربية الى اقامته في اكسفورد . وقد دأب على تطبيق هذه الآراء وتمحيصها مستعيناً في ذلك بملاحظة الاطفال في أسر اصدقائه عن كثب حتى تمكن بدراسته اياهم وتتبعه تطور امزجتهم ونفوسهم من وضع نظرياته في التربية تلك النظريات المطبوعة بآثار تجربته العملية . فما لا ريب فيه ان كتابه « آراء في التربية » هو ثمرة اشتراكه مع اصدقائه في تربية ابنائهم . وقد فاز هذا المؤلّف بشهرة عالمية . وكان لما عرض فيه من نظريات اعمق الأثر فيما كتب روسو وهيلفيتيوس في موضوع التربية . وقد قال عنه احد اساتذة علم التربية الفرنسيين في اواخر القرن الثامن عشر « لو اعيد طبع هذا المؤلف الآن لاحرز نجاحاً عظيماً جداً »

﴿ تحليل كتاب « آراء في التربية » ﴾ — هذا الكتاب جدير بأن يقرأ من اوله لآخره . فقد درس فيه لوك جميع مسائل التربية دراسة عميقة في بعضها وسطحية في البعض الآخر . ولذلك فمن العسير ان يستطيع المرء ان يقوم — في مقال قصير — بتحليل وافٍ لاجزاء هذا السفر الجليل جميعاً . ولكننا سنحاول جهد الطاقة أن نستخلص منه اهم مبادئه الاساسية وهي : أ — مبدأ

---

(١) يعني الاستاذ حسن كامل بوضع كتاب في تاريخ المذاهب المختلفة في التربية وتطورها ، وهذا المقال منتزع من فصل في « فلاسفة القرن السابع عشر وآرائهم في تطور فن التربية »

التقشف في التربية الجسدية : ٢ — مبدأ الفائدة العملية في التربية الفكرية : ٣ — اما فيما يتعلق بالتربية الخلقية فلوك ينادي بالشرف كمبدأ يعتبره قاعدة حكم الانسان لنفسه بنفسه

﴿ التربية البدنية ﴾ — مثل التربية الأعلى في نظر لوك هو مبدأ « العقل السليم في الجسم السليم » . وقد كان لوك طبيباً ولذلك فهو اخصائي في مسائل تربية الجسم . ولكن كثيراً من المربين يعتقدون انهُ اساء الى آرائهِ بمبالغته في المطالبة بحرمان الجسد حرماناً متطرفاً . فهو يقول ان نظريته تتلخص في عدد قليل من القواعد سهلة التطبيق وهي : كثير من الهواء . والتمرينات . والنوم . ونظام في الأكل بسيط يجب ان نستبعد منهُ النبيذ والمشروبات القوية . وملابس ليست كثيرة الضيق ولا شديدة التدفئة . واخيراً وبشكل خاص ينبغي ان يتعوّد الانسان ان يكون رأسه وقدماهُ باردة . وان يغسل قدميهِ كثيراً بالماء البارد واني يمرضهما للرطوبة

ولوك هو اول مربٍّ تكلم في اسهاب وانتظام عن غذاء الطفل وملابسه ونومه . وهو واضع هذا المبدأ الذي اخذه عنهُ روسو وهو : « فلتترك للطبيعة امر تكوين الجسم كما تريد » ولذلك فهو يشير بعدم استعمال الملابس الضيقة وبالحياة في الهواء الطلق والتعرض للشمس . وبأن يلعب الاطفال عراة الرؤوس والاقدام لا يؤثر فيهم الحر ولا البرد

اما فيما يتعلق بالتغذية فلوك يحرم على الاطفال حتى سن الرابعة السكر والنبيذ والتوابل واللحم وهو يبيح طعم التفاح والكمثرى ويمنعهم من اكل الخوخ والبرقوق والعنب . ولا يرى لوك انهُ من المحتم ان نحدد دائماً ساعة معينة لتناول الطعام . وهذا خطأ لا يقره عليهِ أحد . ثم انهُ يطالب بأن يكون حذاء الطفل رقيقاً لدرجة تسمح للماء ان ينفذ الى قدميهِ اذا وضعتا فيهِ ! . . .

والثابت ان لوك يريد معاملة الاطفال في قسوة كبيرة . وهذا غريب حقاً لو عرفنا ان لوك نفسه كان رقيق المزاج . ولعل مدام دوسو فيليبه كانت اكثر منهُ حكمة واقرب منهُ الى الصواب عند ما قالت : « اذا كان ابنك قوي البنية فالتربية الخشنة هي التربية المثلى لهُ . وان كان رقيقاً في محاولة جعله قويًّا قتلتهُ »

واساس فكرة لوك انهُ يعتقد ان الجسم يتعوّد كل شيء . ولإثبات خطأ هذه الفكرة يكفي ان نسرد قصة بطرس الاكبر الذي اعتقد يوماً انهُ ينبغي على جنود البحرية ان يعتادوا شرب الماء المالح وأصدر فعلاً امره الى الصبية الذين كانوا لا يزالون في دور التمرين بألاّ يشربوا الاّ ماء البحر . فكانت النتيجة ان ماتوا عن آخرهم . ووقفت التجربة عند هذا الحد

وعلى الرغم من ان تعاليم لوك من هذه الجهة لم تجد مؤيداً لها غير روسو الاّ انهُ يجب علينا الاعتراف بأنها في مجموعها اثارت اعجاب كثير من المربين لانها قائمة على فكرة الرجولة في المعاملة والقناعة ولانها تقرب الطفل من الطبيعة بقدر الامكان مستبعدة بذلك كل رخاوة وافتعال للرقة

﴿ التربية الخلقية ﴾ في اعتقاد لوك ان التربية الخلقية تفوق التعليم الحقيقي شأناً وتأثيراً ويقول

في ذلك . ان ما يتمناه الرجل الكامل لابنه الى جانب ما يتركه لهُ من ثروة هو اولاً : الفضيلة . ثانياً : التبصر . ثالثاً : الاخلاق الحسنة . رابعاً : التعليم

والفضيلة والتبصر اي الصفات الخلقية والصفات العلمية هي في رأيه في المكان الاول . « اما التعليم فهو أتفه اجزاء التربية» وهو في كتابه «آراء التربية» يكثر من التكرار والعود الى ما عرض لهُ من مسائل . ولكنهُ اكثر ما يكون الحاحاً في ضرورة تدرُّع الانسان بالفضيلة وتمسكه بأهدابها

وليس من شك في ان لوك — ويشبهه في ذلك هربرت سبنسر — لم يلتفت الى التأثير الخلقي الذي يتركه نور العلم في قلب المرء وارادته . ولكنهُ عارض بفكرته السابقة رأي البعض القائل بوجوب تجميل الذاكرة بالمعلومات وانماء الذكاء قبل كل شيء فلا ريب ان اهم مسائل التربية هي تكوين عادات خلقية طيبة وبذر بذور العواطف النبيلة وانشاء اخلاق فاضلة

﴿ الشرف مبدأ النظام الخلقي ﴾ ماذا اعدَّ لوك من وسائل لتحقيق ما يصبو اليه من تربية خلقية يضعها موضعها اعني في المحل الاول ؟ لم يكن مبدؤه المنفعة قبل كل شيء كما نادى بذلك روسو فيما بعد . لانهُ وان كان نفعيًّا (utilitaire) في التعليم والتربية الفكرية كما سيظهر فيما بعد فانه لم يكن كذلك في التربية الخلقية . وكان يعارض معارضة شديدة في مبادىء الارهاب وسلطة المدرّس والآباء القائمة على الخوف من العقاب وعلى الشعور بالرهب الذي يبغضه لوك لما فيه من عبودية . وهو لذلك ينقم على نظام العقاب . ولم يتكلم لوك عن حنان الآباء وعطفهم لانهُ كان لا يعتقد بامكان الحصول على نتيجة كبيرة من طريق حساسية الطفل (la sensibilité de l'enfant)

ولكنه كان يريد معاملة الطفل منذ نعومة اظفاره معاملة الرجال . ناسياً بذلك ضعف طبيعة الطفل . ولذلك تراه ينادي بتأصيل عاطفة الشرف في نفس الطفل من البدء وحثّهُ على الخوف من الخجل ولعلَّ هذا شعور نبيل اخشى ان يكون فوق مستوى مواهب الطفل . فالشرف وهي كلمة يعتبرها — المفكرون مرادفة لكلمة الواجب — يمكن ان يكون مرشداً لضمير مراهق تمَّ تكوينه او ما يقرب من ذلك . ولكن أليس من غير المعقول من الناحية العملية ، ان يشعر الطفل منذ سنواته الاولى بتقدير او باحتقار من حوله ؟ وقد قال في ذلك احد ناقدي لوك الانكليز : « اذا كان من المستطاع ان نوحي الى الطفل بالاهتمام بسمعته . اذن لاعترفت مع لوك بأن في مقدورنا ان نكوّن الطفل كما نريد وان نلهمه حب الفضيلة باشكالها المتباينة » . ويضيف هذا الناقد الى ذلك قوله « ولكنني اشك في ذلك كل الشك رغم كل تأكيدات لوك »

وقال (كانت) بحق « انه لجهد ضائع ذلك الذي نبذله في التحدث الى الاطفال عن الواجب . فهم يرونهُ شيئاً لو خولف لتبع مخالفته العقاب . لذلك لا يجب ان نحاول اثارة عاطفة الخجل عند الطفل . بل يجب الانتظار حتى يصبح شابًّا لان هذه العاطفة لا يمكن ان تجد لها مجالاً في نفسه الاَّ اذا ثبتت فكرة الشرف فيها » . ولوك يخطىء عند توهمه ان للطفل من النشاط الخلقي ما يسمح

لنا بالاعتقاد بان مجرد الشعور بالشرف يمكن ان يكون رادعاً قوياً . وهو يخطىء ايضاً في اعتماده على قوى الطفل الفكرية التي يراها كافية للتباحث معه ابتداءً من اليوم الذي يتكلم فيه

ولا جل تزويد الطفل بالعادات الطيبة وتهيأته للفضيلة تضع الطبيعة تحت تصرف المربي حساسية الطفل نفسه ومتفهمته ونور ذكائه . ولا يمكن الا مع انقضاء الزمن وتقدم السن ان يصبح مبدأ سام كالشعور بالشرف وبالواجب، قانوناً اعلى يسيطر على ارادة الطفل ويلزمهُ بضرب خاص من التصرُّف

وخطأ لوك في طريقته في التربية الخلقية يرجع الى انهُ لا يريد الاستعانة بقلب الطفل ومقدرته الكبيرة على الحب . وإلى اسرافه في معاملة الطفل كمخلوق عاقل وتقرية مبدأ استقلال النفس عنده

ولعلَّ من الصواب ان يقال انهُ اذ كان من الخير ان نحترم حرية الرجل وكرامته عند الطفل فلا ينبغي بتاتاً ان ينقلب هذا الاحترام خرافة . وليس من المؤكد ان استبعاد الخوف والضغط هو من شروط تكوين الارادة الثابتة القوية

﴿ استبعاد العقوبات الجسمانية ﴾ — لم يتوسع لوك في شرح نظريته في النظام الخلقي (la discipline morale) . ولكنهُ يقدر نقص تفصيله في شرح الجزء الايجابي من نظريته اسهب في تفصيل ما لا يجب ان نفعله لتحقيق اغراضه . وتعد الفصول التي كتبها لوك عن العقاب الجسماني من أمتع ما كتب . وقد نقل روسو كثيراً منها . وثمة تشابه بين نظرية مونتيني في « الوداعة القاسية » وقاعدة لوك في التربية الخلقية . فكلاهما يقول بان نظام السوط نظام استعباد يجعل من الطفل عبداً . ولم يخرج لوك على آراء عصره الا في نقطة واحدة وهي انهُ اباح استعمال السوط في الاحوال الخطيرة ولاجل كبح جماح الطفل الثائر العنيد . ولا شك ان في هذا الرأي جرأة ممدوحة في وقت كانت فيهِ المعاهد العلمية في انكلترا تعتقد انها ملزمة بأن تذيع على الجمهور وتنشر في اعلانات الصحف ان تحريم العقاب الجسماني يعد بين مزايا التربية فيها

ومن العجيب ان نعرف ان المدرسين احتفظوا على الرغم من كل ذلك بعادتهم القديمة في تأديب التلاميذ بالسوط . والاغرب ان الطلبة انفسهم كانوا متمسكين به كل التمسك . فقد كتب احد الطلبة الانكليز القدماء يقول « في عام ١٨١٨ كان لناظر مدرستنا آراء خاصة جريئة . فاراد استبدال السوط بالغرامة المالية . ولكن الطلبة قاموا في وجه هذا الاصلاح . وذلك لان السوط كان لا يتعارض في نظرنا وكرامة الرجال . ولكن الغرامة اهانة لا يمكن ان تمحى ! . . وصاح الطلبة فلتسقط الغرامة وليحيا السوط ! وانتصرت ثورة الطلبة واعيد نظام السوط . وفرحنا لعودته فرحاً عظيماً . وفي صبيحة اليوم التالي لالغاء الغرامة وجدنا عند دخولنا قاعة الدرس غابة من الاسواط كبيرة وقفني المدرسون وقتهم في استعمالها بأمانة تامة »

﴿ التربية الفكرية ﴾ ينتمي لوك الى عائلة المربين النفعيين (pédagogues utilitaires) قليلي العدد في ايامه . فهم لا يريدون تكوين رجال ادب وعلم بل رجالاً عمليين مسلحين للنضال في الحياة

مزودين بالمعارف التي هم في حاجة اليها لتسوية حسابهم وتسيير دفة شؤونهم المالية وارضاء مطالب حرفهم واخيراً للقيام بما عليهم كرجال ومواطنين

﴿ دراسات نفعية ﴾ (Etudes utilitaires) . من اهم ميزات لوك انهُ كافح التعليم الشكلي البحت الذي لا يفوز الانسان فيهِ الاَّ بثقافة اسمية . وهو يزدري الدراسات التي تؤدي مباشرة للاستعداد للحياة. ولكنهُ بالغ في نقده ومديح التعليم الواقعي (réaliste) ناسياً بذلك ان الدراسات القديمة ان لم تكن نافعة بمعنى الكلمة الحقيقي وان لم تكن تكفي لسد الحاجات العادية للعيشة فأن لها فائدة اسمى بمعنى انها تصبح اداة جيدة في التنظيم الفكري اذا استخدمت استخداماً حسناً. ولكن لوك كان يخاطب اناساً متعصبين متحذلقين يعتقدون ان دراسة اللغتين اللاتينية واليونانية هي كل التعليم وغاية الغايات لا وسيلة من وسائل التعليم

ولا يجب ان نفهم ان لوك كان نفعيًّا اعمى يرغب في استبعاد كل دراسة ليس من ورائها نفع محقق . وكل ما هنالك انهُ لا يريد ان يضحي في سبيل هذا النوع الاخير من الدراسة تعليماً اعظم شأناً واكبر نفعاً

﴿ برنامج الدراسة ﴾ . يعتقد لوك انهُ ينبغي ان يتعلم الطفل الرسم منذ الصغر بالقراءة والكتابة ولكنهُ يحتقر الفنون التي لم يسمح لهُ رواده الطبيعي بفهم اثرها العميق الوديع في نفس الطفل . وهو يحبذ الرسم لما لهُ من فائدة عملية وهو لذلك يضعه في مستوى القراءة والكتابة

فاذا ألم الطفل بهذه العناصر وجب ان يمرن بلغة والديهِ على قراءة القصص الصغيرة وعلى الانشاء وكتابة الخطابات العائلية وما الى ذلك

ويتبع ذلك دراسة لغة اجنبية حية . وينصح لوك لمواطنيه بدراسة اللغة الفرنسية فاذا تمكن الطفل منها تعلم اللاتينية. وقد طبق ما يشبه هذا النظام في فرنسا في القرن العشرين واضيفت اليهِ العلوم

***

اما فيما يتعلق باللغة اللاتينية فلوك يريد ان يتعلمها الطفل بواسطة الاستعمال والمحادثة اذا امكن وجود استاذ لتعليمها فاذا كان ذلك مستحيلاً فبالقراءة . وينصح بالاقلال من قواعد النحو والصرف بقدر المستطاع ! وهذا من آخر ما وصل اليهِ علماء التربية في تعليم اللغات في أيامنا هذه) والغاء المحفوظات وموضوعات الانشاء اللاتينية نظماً كانت او نثراً . ويحبذ التبكير في قراءة نصوص لاتينية سهلة . فهو لا يريد ان يتقن الطفل الكتابة باللغة اللاتينية بل يقول بان الغرض من دراسة هذه اللغة هو امكان فهم المؤلفين الذين كتبوا بها . ولكن المشايعين للقصائد الشعرية والخطب اللاتينية لم يسكتوا على احتجاج لوك على طريقتهم ومضوا يعذبون الطفل بارغامه على الكتابة بلغة لا يجيدها وفي موضوعات يكاد يجهلها . اما اللغة اليونانية فلوك يريد استبعادها تماماً ويقول انهُ يعرف تماماً ما لهذه اللغة من جمال . ويعترف انها مصدر التحف الفنية التي تفخر بها علومنا وآدابنا

ولكنهُ يريد ان يقصر دراستها على المطلعين والادباء والعلماء الاخصائيين وينصح بالغائها من التعليم الثانوي الذي يجب ان يكون مدرسة الحياة

فاذا خفف نظام الدراسات القديمة اتسع المجال لدراسات ذات فائدة عملية مثل دراسة الجغرافيا التي يضعها لوك في المكان الاول لان فيها مرانة جيدة للذاكرة والنظر . والحساب لانهُ ذو فائدة كبيرة في جميع اعمال الحياة حتى انهُ لا يكاد يوجد عمل لا يلجأ فيه للاعمال الحسابية . وما يسميه هو علم الفلك وهو في الواقع دراسة مبدئية لسير الكواكب . والجزاء الهندسة اللازمة لرجل الاعمال « والتاريخ » وهو « اكثر الدراسات لذة وابعدها اثراً في تثقيف العقل » وعلم الاخلاق والقانون والتشريع العادي كثير الاستعمال والفلسفة الطبيعية اي العلوم الطبيعية واخيراً حرفة يدوية وامساك الدفاتر

﴿ دراسات جذابة ﴾ ولما كان لوك نفعيًّا في اغراضه فهو يود ان نستخدم في التربية الفكرية وسائل جذابة فهو بعد ان وجه نقداً مرًّا الى المربين الذين يبعثرون قوى الطفل في دراسات مجدبة اعلن كراهيته لما يراهُ من شدة التمسك والاخلاص للاساليب التعليمية البحتة تلك الشدة التي ادت الى وسائل تمجها النفس وطرق مضنية لا يظهر المدرس بسببها الاَّ بمثابة معكر لصفو حياة الطالب

وعلى الرغم من انه يبالغ في آرائه من هذه الناحية فان له كل الحق في المطالبة بتطبيق اساليب جذابة ولقد ذهب في هذا الصدد الى حدّ القول بأنهُ يريد ألاَّ يجد الطالب فارقاً بين الدراسة واي نوع آخر من التسلية . وفي هذا ولا ريب شيء كثير من المبالغة . ولعله اراد ان يقول انهُ ينبغي علينا العمل على تذليل الصعاب الاولى في دراسة العلوم وعلى اغراء الطفل واسره دون الضغط عليه والابتعاد كل البعد عن الظهور بمظهر من يريد ان يلزم الطفل بالدراسة . وهو الامر الذي طالما اوحى الى الاطفال نوعاً من الاشمئزاز . وهو لذلك ينصح بالالعاب التي يمكن استخدامها في التعليم (jeux instructifs) لاجل تعليم الاطفال القراءة والاعمال الاولى ويقول في ذلك « يجب ان يتعلم الطفل القراءة وهو شاعر انهُ يتسلى »

ذلك ان الطفل في رأيه غيور على استقلاله ولسنا نعرف مربياً عرف قبل لوك حاجة الطفل الى النشاط والحرية . وانهما امران طبيعيان فيه . كما لا يعرف مربياً سبقه الى الالحاح في ضرورة احترام ذوق الطفل الشخصي وتعلقه باستقلاله

وقد قال بعده سلفه الانكليزي هربرت سبنسر « لا يحتفظ العقل الاَّ بالمعارف التي توحي اليه السرور والانتعاش . ولا يجد العقل سروراً وانتعاشاً الاَّ عندما تثير فيه نشاطاً عاديًّا يتناسب مع قواه الطبيعية . ولا يمكن ان يصح تعليم الاَّ في جو من النشاط »

﴿ الاستظهار ﴾ يقول لوك انه لا فائدة من الحفظ عن ظهر قلب . وذلك لان الذاكرة في رأيه ليست قابلة للتقدم وهو يقول ان النفس كفاءة فارغة جامدة وليست مجموعة من النشاط والقوى

الحية التي تفيدها المرانة وهو لا يعتقد ان المواهب على اختلاف انواعها يمكن ان تكبر او تنمو . وذلك لانهُ لا وجود لها بتاتاً في نظره ! . . ولعلَّ من الخير ان نترك هنا لوك يتكلم عن نظرياته بنفسهِ : اعرف جيداً بوجود مربين يشعرون انهُ يجب على الطفل ان يستظهر بعض الدروس لأن في ذلك مرانة لذاكرتهِ واعتناء لها . ولكن هذا الادعاء لا يستند الى ملاحظات صحيحة بل الى مجرد وجود عادة قديمة . ولست اشك في ان قوة الذاكرة ترجع الى طريقة تكوينها لا الى تقدم تكتسبهُ بالمرانة والعادة . والواقع ان العقل لا يستطيع ان يعي الاَّ الاشياء التي يعيرها انتباهه . وانه — لاجل ان يحتفظ بها — في حاجة الى التفكير فيها ليطبعها من جديد في ذاكرته . وهذا يجري بنسبة قوة الذاكرة الطبيعية . واذا نحن طبعنا الشمع او القصدير بطابع فان هذا الطابع يظل زمناً اقصر بكثير من طابع آخر على النحاس او الحديد . ولاشك ان التأثير في النفس يدوم زمناً اطول اذا دامسنا على تجديده بالتفكير فيهِ . ولنعلم ان كل عمل من اعمال التفكير في تأثير ما هو بمثابة تأثير جديد . ولا يجب ان نفكر الاَّ في عدد هذه التأثيرات اذا اردنا ان نعرف الزمن الذي يمكن للعقل ان يحتفظ خلالهُ بهذا التأثير . ونحن اذا دفعنا الطفل الى استظهار بضع صفحات باللغة اللاتينية لانؤهل ذاكرتهُ لان تعي شيئاً آخر غير هذه الصفحات الاَّ بقدر ما تهيء سلاحاً من القصدير لان يحتفظ بطوابع اخرى غير فكرة لكون قد حفرناها عليهِ ! ! . واذا صح كلام لوك أصبحت التربية بامرها مستحيلة لانها تفرض مبدئيًّا وجود مواهب طبيعية يمكن ان نجعلها بالمرانة خصبة نامية

﴿ وجوب تعلُّم حرفة ﴾ واخيراً يريد لوك ان يتعلم تلميذه حرفة . ولكن الاسباب التي استند اليها في ذلك تختلف عما استند اليهِ روسو من اسباب . فلوك يقصد من وراء تعليم حرفة يدوية للرجل الكامل (the gentleman) ان يهيأ لعقله تسلية وفرصة للراحة من جهة ولجسمه تمرينات نافعة من جهة اخرى . ولكن روسو كان يود ان يتعلم تلميذه حرفة يدوية ليقي نفسه شر الحاجة اذا ما ثارت ثورة انتزعت منهُ ثروته . بل ان روسو كان متأثراً في رأيه هذا بهواجس اجتماعية يعتبرها البعض مخاوف اشتراكية فالعمل في نظره واجب يتحتم على كل فرد القيام بهِ « غنيًّا كان او فقيراً »

﴿ دور العمل ﴾ ومع ان لوك وجه كل اهتمامه الى الدراسات القديمة وتربية الرجل الكامل الاَّ انه لم يهمل تماماً مسائل التعليم الابتدائي . فقد كتب للحكومة الانكليزية تقريراً في عام ١٦٩٦ طالب فيهِ بتنظيم دور للعمل (Working schools) لاولاد الفقراء . وذكر في هذا التقرير ان كل طفل يزيد عن الثالثة من عمره ويقل عن الرابعة عشرة يجب ان يجد في هذه الملاجيء عملاً وغذاء

وفكرة لوك في ذلك هي ضرورة مكافحة فساد الاخلاق وذيوع الفاقة في طبقة خاصة من الشعب ومحاولة معالجة الكسل والتشرد وتخفيف رقابة الام المنصرفة الى عملها وتكوين رجال جد وعمال مجدين . وقد حاول بذلك تحقيق اصلاح اجتماعي واسع النطاق . واصبح مربي الرجل الكامل مهذب الفقراء